

النعمة المهدورة

مأساة الطعام بين ذاكرة الثمانينات وموائد رمضان

إعداد

مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية



المقدّمة

ليس الجوع هو أخطر ما يهدد المجتمعات... بل فقدان الإحساس بالجوع

حين يمتلئ البطن ويفرغ الضمير، تتحول النعمة إلى عادة، والعادة إلى إسراف، والإسراف إلى عقوبة صامتة. في العراق، كما في كثير من المجتمعات التي عاشت فترات وفرة متقلبة، اكتسب الطعام بعداً رمزياً أعمق من كونه مجرد مادة تُشبع الجسد، ففي الثمانينات، كانت الموائد العراقية عامرة، والأسواق مليئة، والمجتمع يعيشه إحساساً مؤقتاً بالأمن والوفرة، لم يكن هناك حدود واضحة لما يُطبخ وما يُؤكل، فتعددت الأطباق وتنوعت الأصناف وكأن الغد لن يأتي، وكأن النعمة ستستمر بلا حساب ولا مساءلة. لكن هذه الوفرة الظاهرية لم تأتِ بمعزل عن مسؤولية أخلاقية، فالفرط في الطعام والإسراف فيه لم يكن مجرد تصرف شخصي، بل انعكاساً لثقافة جماعية تجاه النعمة، كانت هناك عزائم وأفراح، أطباق تُجهّز بكميات تفوق الحاجة، وبقايا تُرمى بلا وعي، وكأن البذخ أصبح جزءاً من الاحتفال بالعيش الرغيد. ومع ذلك، لم يكن الزمن طويلاً قبل أن تتحول الوفرة إلى شحٍّ شديد في السنوات التالية خلال الحصار، حيث صار كل رغيف، وكل قطرة زيت، وكل حبة رزٍّ لها وزنها ودورها في بقاء الأسرة، لقد علمت الأزمة الصعبة العراقيين معنى الشح، وفهموا كيف أن الطعام الذي كان يُرمى بالأمس أصبح كنزاً لا يقدر بثمن. وهكذا، تظل النعمة، سواء في الماضي أو الحاضر، اختباراً أخلاقياً قبل أن تكون رفاهية جسدية، فالأكل بلا تقدير، والإسراف في الطعام، ورمي البقايا بلا شعور، ليس فقط إسرافاً مادياً، بل جفافاً روحياً وفقداناً لشعور الامتنان، ومن هنا، تصبح موائد رمضان، التي يفترض أن تكون مدرسة للصبر، والشكر، والتقوى، مسرحاً للاختبار الحقيقي: هل نحافظ على النعمة، أم نحولها إلى نفايات تُرمى بلا تفكير؟

رمضان... بين الزهد والإسراف

رمضان، شهر الامتناع عن الطعام والشراب، يُفترض أن يكون تدريباً على ضبط النفس، ومدرسة للشكر، ووسيلة للشعور بالفقراء والمحتاجين. لكن عند كثيرين صار شهراً للترف والفرط، حيث تُكسب الموائد، وتكثر الأطباق، ويُطبخ أكثر مما يُؤكل، ويُرمى الباقي بلا شعور بالمسؤولية. الحديث النبوي الشريف يقول: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه" في حين أن الصحابة وأهل البيت عليهم السلام جعلوا التقدير وحسن الاستعمال معياراً لتعاملهم مع الطعام، فلا يبالغون، ولا يستهلكون بلا حاجة، ولا يرمون أي لقمة.

أهل البيت... مدرسة الاعتدال

أهل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام قدموا نموذجاً حياً في الاعتدال وضبط النفس، وجعلوا من الطعام مسؤولية أخلاقية قبل أن يكون وسيلة للشبع أو للعرض الاجتماعي، كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يأكل ما يكفيه فقط، ويشارك الآخرين من طعامه، محذراً من الإفراط والمبالغة في الأكل،

ويقول: "ألا وإن إعطاء المال والطعام في غير حقه تبيذٌ وإسراف"، في رسالة واضحة بأن النعمة أمانة، وأن الاعتدال واجب لا استعراض، أما السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فكانت تؤثر غيرها على نفسها حتى في أوقات الشدة، وتحرص على عدم هدر أي جزء من الطعام، لتعلم أن كل لقمة لها قيمة، وأن الإفراط هو جهل بمعنى النعمة، وكان الامامان الحسن والحسين عليهما السلام يضعان الفقراء والمحتاجين في مقدمة أولوياتهما، ولا يسمحان بأن يذهب الطعام بلا استخدام أو يُستهلك بلا ضرورة، مؤكدين أن كل لقمة تحمل معنى أخلاقياً وروحياً، وكذلك الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام كان يوزع الطعام بعناية على بيوت الفقراء بعيداً عن التفاخر، مع ضمان عدم هدر أي جزء صالح للأكل، هؤلاء القادة لم يجعلوا الطعام وسيلة للترف أو الاستعراض، بل جعلوا الاعتدال معياراً للكرامة والخلق، مؤكدين أن الشبع بلا إسراف هو البركة، وأن الإفراط هو فقدان النعمة، وأن احترام الطعام جزء لا يتجزأ من التربية الروحية والأخلاقية التي تعكس وعينا وقيمنا.

رابعاً: تجارب الدول... دروس من الواقع

الدول التي عاشت التجارب الصعبة تعلمت احترام الغذاء وحولته إلى ثقافة وسلوك يومي:

- في اليابان، بعد الحرب العالمية الثانية، صار الحفاظ على الطعام جزءاً من الثقافة الوطنية، والمدارس تُعلم الأطفال عدم ترك أي بقايا، ويُنظر إلى أي إسراف على أنه فقدان للانضباط واحترام النعمة.
- في ألمانيا، توجد بنوك طعام تجمع فائض الطعام وتوزعه على المحتاجين، ويُعد رمي الطعام سلوكاً غير أخلاقي قبل أن يكون اقتصادياً، كما أن حملات التوعية العامة تجعل من إعادة التدوير واستخدام الفائض سلوكاً اعتيادياً.
- في فرنسا، صدرت قوانين تلزم المتاجر بعدم رمي الطعام الصالح للأكل، بل التبرع به للمحتاجين، ما خلق ثقافة مجتمعية للاعتدال وحماية الموارد.
- في سنغافورة، يتم تنظيم حملات مستمرة لتقليل هدر الطعام في المطاعم والفنادق والمناسبات، ويُشجّع المواطنون على قياس كميات الطعام قبل الشراء أو الطهي، لتجنب الفائض غير الضروري.
- في إيطاليا، هناك برامج تعليمية في المدارس والمجتمعات المحلية لتعزيز ثقافة "لا للطعام المهدور"، حيث يُنظر إلى كل وجبة كمسؤولية تجاه الأسرة والمجتمع، ويُستخدم الفائض لصالح الجمعيات الخيرية.

أما نحن، الذين ذقنا الجوع خلال الحصار، فلا يزال بعضنا يُعيد إنتاج الإسراف بلا وعي، وكأن تجربة الماضي لم تُحفظ. وبين هذه التجارب، يتضح أن الاحترام الحقيقي للغذاء يبدأ بالوعي الفردي والمجتمعي، ويستمر بالقوانين والتعليم، وينتهي بسلوك يومي يعكس تقدير النعمة.

التبذير... عقوبة قبل أن يكون ذنبًا

الإسراف في الطعام ليس مجرد فعل شخصي، بل هو فعل يُلقى بظلاله على المجتمع بأسره، فكل لقمة تُهدر تعني موارد ضائعة، وأموال أُنفقت بلا جدوى، وفرصًا ضائعة لمحتاجين قد يكونون بحاجة إليها، ومن نتائج الإسراف: هدر المياه والطاقة الزراعية، ورفع الأسعار، وزيادة الفجوة بين الغني والفقير، بما يجعل المجتمع أكثر هشاشة وتوترًا اقتصاديًا واجتماعيًا.

في القرآن الكريم، وُصف المبدرون بأنهم: ﴿إخوان الشياطين﴾

فكما كان الشيطان أول من كفر بالنعمة واستكبر، فخسر، كذلك المبدر يُعيد خطأه بلا وعي، متجاهلاً أن كل نعمة له قيمة ومسؤولية، فالإسراف ليس مجرد ذنب شخصي، بل عقوبة صامتة على الفرد والمجتمع، لأنها تقود إلى فقدان التقدير للنعمة وتعمق شعور الجوع والقحط لدى الآخرين، سواء كان ذلك على المستوى المادي أو الروحي.

إن احترام الطعام، والاعتدال في استخدامه، ليس فقط قيمة أخلاقية، بل حماية للمجتمع من آثار الإسراف، وضمان لاستدامة الموارد، وتعزيز روح المسؤولية والرحمة تجاه الآخرين.

الخاتمة

النعمة لا تُقاس بوفرتها، بل بقدرتنا على احترامها وحسن استعمالها، ورمضان ليس موسمًا للترف أو امتلاء البطون، بل مدرسة للامتنان والرحمة، والمائدة ليست مقياس مكانة، بل مرآة وعي وإدراك لقيمة النعمة.

إن تعلم احترام الطعام، وإحياء روح أهل البيت في التعامل مع الغذاء، هو ما يجعل من كل لقمة أداة للاختبار الروحي، ويحول النعمة من مجرد مادة إلى درس أخلاقي نعيشه كل يوم. فلنحافظ على لقمتنا... فربما تكون الفرق بين أمة تتعلم من تاريخها، وأمة تعيد أخطاء الماضي.

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٢، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- لا تعبر الآراء الواردة في الدراسات او الاوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232



Alfaiidcenter2011@gmail.com



www.al-faidh.com



العراق - بغداد - الكرادة

